سلسلة البدائع
عدد ١

الكوكب المتلالى

شرح

قصيدة الغزالى

للاستاذ المجهبذ النحرير وصاحب المكاشفات العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغنى النابلسى قدس الله روحه . كانت ولادته فى الشام سنة ١٠٥٠ ووفاته فيها سنة ١١٤٢ . وهى قصيدة الامام الغزالى رحمه الله الفريدة الغراء التى وجدت تحت وسادته عند موته المتضمنة على وصية و نصيحة لابناء جنسه وهى حرية بان تقتنى بالنفس والنفيس .

طابعها فى مطبعته و مصححها

وامق شكرى

صاحب مطبعة المتين

چنبرلى طاش وزير خان

١٣٢٧

الكوكب المتلالى

شرح

قصيدة الغزالى

الاستاذ الجهبذ النحرير صاحب المكاشفات العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغنى النابلسى قدس الله روحه . كانت ولادته فى الشام سنة ١٠٥٠ ووفاته فيها سنة ١١٤٣ . وهى قصيدة الامام الغزالى رحمه الله الفريدة الغراء التى وجدت تحت وسادته عند موته المتضمنة على وصية ونصيحة لابناء جنسه وهى حرية بان تقتنى بالنفس والنفيس .

طابعها فى مطبعته ومصححها

وامق شكرى

صاحب مطبعة المتين

١٣٢٧

متین مطبعه‌سی

اعوذبالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذى خلق الموت والحياه واقام فى خدمته الملوك واسجد لعظمته الجباه والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى خصه الله تعالى بالفضائل واجتباه وعلى آله واصحابه وتابعيه وانصاره واحزابه ومن والاه .

امابعد فيقول الفقير عبدالغنى ابن المرحوم شيخ الاسلام بركة الخاص والعام العلامة الرحلة الشيخ اسماعيل الشهير بابن النابلسى اخذالله بيده وامده بمدده وحرسه بعدده هذا شرح لطيف افرغته فى قالب التصنيف ورصفته بحسب الامكان اكمل ترصيف احل به ماتعقد من كلمات القصيدة النونية والجوهرة القريدة المضية المنسوبة الى الامام ابى حامد الغزالى حجة الاسلام عليه رحمة العليم العلام وقد طلب ذلك منى بعض الاصحاب ولم يمكنى

دفع سؤاله بغير الجواب وسميته (الكوكب المتلالى
شرح قصيدة الغزالى) ومن الله تعالى استمد العناية واطلب
منه التوفيق فى البداية والنهاية وهو حسبى ونعم الوكيل
نعم المولى ونعم النصير .

اما الامام الغزالى قدس الله تعالى روحه ونور ضريحه
فهو محمد بن محمد الطوسى الامام ابو حامد الغزالى
حجة الاسلام ومحجة الدين التى يتوصل بها الى
دار السلام جامع اشتات العلوم المبرز فى المنطوق منها
والمفهوم بحر ليس للبحر ماعنده من الجواهر وحبر سما
على السماكين للسما مثل ماله من الزواهر ترك الدنيا وراء ظهره
واقبل على الله تعالى يعامله فى سره وجهره ولد بطوس
سنة خمسين واربعمائة وكان ابتداء طلبه للطريق بعدما
حصل له ببغداد القبول التام والجاه عند الخاص والعام انه
سافر فقطع عليه الطريق واخذ القطاع جميع مامعه فتبعهم
وقال لمقدمهم بالذى ترجو السلامة منه رد على تعليقتى فقط
فماهى بشىء ينفعكم فضحك وقال كيف تدعى انك عرفت
علمها وقد اخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت
بلا علم فانطقه الله تعالى لارشاده فاقبل على التجرد وساح
ورآه بعضهم فى البرية وعليه مرقعة وبيده ركوة وعكاز

بعد ان رآه يحضر مجلسه ثلاث مائة مدرس ومائة من امرآء
بغداد فقال ياامام اليس تدريس العلم اولى فنظر اليه شزرا
وقال لما بزغ بدر السعادة فى فلك الارادة وجنحت شمس العقول
الى مغرب الوصول

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل
وعدت الى مصحوب اول منزل
وناديت فى الاسواق مهلاً فهذه
منازل من تهوى رويدك فانزل

وكان شديد الذكاء مفرط الادراك قوى الحافظة تضرب
بكماله الامثال وتشد اليه الرحال حتى عزفت نفسه عن رذائل
الدنيا فرفض مافيها من التقدم والجاه وترك ذلك وراء ظهره
واقبل على قدم الفقر والتجريد بعد الحج والتقديس
ثم ذهب الى الشام فاقام بمنارة الجامع الاموى نحو عشر
سنين فلما عرف فارقها ثم جال فى البلدان وزار المشاهد وأوى
القفار وراض نفسه وجاهدها جهاد الابرار ثم عاد الى بغداد
وتكلم على لسان اهل الحقيقة وقلبه معلق بما فتح عليه من
الطريقة ثم رجع الى طوس واتخذ بجانب داره مدرسة
للفقهآء وخانقاه للصوفية ووزع اوقاته على تلاوة القرآن
ومجالسة ارباب القلوب وادامة الصيام والقيام حتى كان فى

جمادى الاخرة سنة خمس وخمس مائة توضاء وصلى وقال على بالكفن فاخذه وقبله ووضعه على عينيه وقال سمعاً وطاعةً للدخول على الملك ثم مد رجليه واستقبل القبلة فانتقل الى رضوان رحمة الله تعالى.

قيل ولما افتى القاضى عياض باحراق كتاب الاحيا بلغه فدعا عليه فمات وقت الدعوات فى حمام فجأة وقيل بل امر المهدى بقتله فى الحمام بعد ان ادعى عليه اهل بلده وزعموا انه يهودى لانه كان لايخرج يوم السبت لكونه كان يصنف كتاب الشفا.

واخرج اليافعى عن ابن الميلق عن ياقوت العرشى عن ابى العباس المرسى عن ابى الحسن الشاذلى ان الشيخ ابن حرازم خرج على اصحابه ومعه كتاب فقال اتعرفونه قالوا لاقال هذا الاحياء وكان الشيخ المذكور يطعن فى الغزالى وينهى عن قرأة الاحيا فكشف لهم المذكور عن جسمه فاذا هو مضروب بالسياط وقال اتانى الغزالى فى النوم ودعانى الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما وقفنا بين يديه قال يارسول الله هذا يزعم انى اقول عليك مالم تقل فامر بضربى فضربت. وروى ابن عطاء الله عن المرسى عن الشاذلى رضى الله عنهم انه قال من كان له الى الله حاجة

فليتوسل اليه بالغزالى. وقال العارف الشاذلى قدس الله روحه رأيت المصطفى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى النوم باهى موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بالغزالى وقال هل فى امتكما مثله قالا لا وشهد له المرسى بالصديقية العظمى.

ومن كلامه قدس الله روحه الدنيا مزرعة الآخرة وهى منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلتين. وقال ربما وجد بعضهم فى نفسه انساً وتقرباً فى عبادته ومجلسه فظن ان بها يغفر لجميع من حضره فضلا عنه ولو انه تعالى عامله بما يستحقه على سوء ادبه فى ذلك لاهلكه ومن حوله. وقال انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم تعالى عن ذلك بل لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فانها كالاوانى مادامت مملوءة بالماء لايدخلها الهواء والقلب المشغول بغير الله لاتدخله المعرفة بجلاله. وقال اشرف انواع العلوم العلم بالله وصفاته وافعاله وفيه كمال الانسان وفيه كمال سعادته وصلاحه بجوار حضرة ذى الجلال والكمال. وقال جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر ولايتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر. وقال الايمان ثلاث مراتب الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد

المحض الثانية ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال الثالثة ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين . وقال مهما سمعت امراً غريباً من امور الدين جحده اهل الكياسة من سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ محال ان يظفر سالك طريق الشرق بما فى الغرب . وقال مهما رأيت انساناً يسىء الظن بالناس طالباً للعيوب فاعلم انه خبيث فى الباطن والمؤمن سليم الصدر فى حق كافة الخلق . وقال من لم يكن له نصيب من علم الباطن اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله ومن كان فيه خصلتان لم يفتح له من هذا العلم بشىء بدعة اوكبر . وقال من الذنوب مايورث سوء الخاتمة وهو ادعاء الرجل الولاية مع فقدها منه . وقال من شرط من له حاجة ان لا يفطر ذلك النهار حتى تقضى ولو عند الغروب قال بعضهم وقد جربناه فصح لان الانسان اذا شبع فدعاؤه كسهم يخرج من غير وتر مشدود .

وللغزالى رحمه الله تعالى تصانيف عظيمة فى غالب الفنون حتى فى علم الحروف واسرار الروحانيات وخواص الاعداد ولطائف الاسماء الالهية وفى السيميا وغيرها . وله دعاء عجيب جربه اهل العرفان عند حلول الفاقة وقد ذكره

فى الاحياء وهو اللهم ياغنى ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود اغننى بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك . قال فمن ذكره بعد صلاة الجمعة وداوم عليه اغناه الله تعالى عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب . وله قصيدة جليلة ذكر فيها اسرار الفاتحة وهى قوله

اذا ما كنت ملتمساً لرزق
ونيل القصد من عبدٍ وحر
وتظفر بالذى ترجو سريعاً
وتأمن من مخالفةٍ وغدر
ففاتحة الكتاب فان فيها
لما املت سراً اى سر
تلازم درسها عقبى عشاء
وفى صبح وفى ظهر وعصر
وعقبى مغرب فى كل ليل
الى التسعين تتبعها بعشر
تنل ماشئت من عزٍ وجاهٍ
وعظم مهابةٍ وعلو قدر
وسترٍ لا تغيره الليالى
بحادثة من النقصان تجرى

وتوفيق وافراح دواماً

وتأمن من مخاوف كل شر

ومن عرى وجوع وانقطاع

ومن بطش لذى نهى وامر

مات الامام الغزالى رحمه الله تعالى عن خمس وخمسين سنة قال النووى فى بستانه عن شيخه البلقينى احصيت كتب الغزالى التى صنفها ووزعت على عمره فخص كل يوم اربعة كراريس ذكر هذا المناوى فى طبقات الاولياء. ثم قيل ان السبب فى نظم هذه القصيدة التى نريد شرحها ان الامام الغزالى رحمه الله تعالى لما احس بنزول الموت به قال لبعض اصحابه ائتنى بثوب جديد قال مالك به قال اريد ان ادخل على الملك فاتاه بثوب فطلع الى بيته فابطأ ولم ينزل فدخل صاحبه عند ذلك عليه مع بعض تلامذته فوجدوه قدمات وعند رأسه مكتوب فى ورقة هذه الابيات وهى القصيدة المذكورة .

وفى شرح الجامع الصغير للشيخ عبد الرؤف المناوى رحمه الله تعالى قال وجد تحت وسادة حجة الاسلام الغزالى رحمه الله تعالى فى رقة مكتوب قوله:

قد كنت عبداً والهوى مالكى

فصرت حراً والهوى خادمى

وعدت بالعزلة مستأ نساً

من شر اولاد بنى آدم

مافى اختلاط الناس خير ولا

ذوالجهل بالاشياء كالعالم

يالائمى فى تركهم جاهلاً

عذرى منقوش على خاتمى

فوجدوا نقش خاتمه وماوجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين انتهى.

وانشدوا فيما يناسب ذلك قول بعضهم :

احسن الناس بالايمان عبد

خفيف الحاذ مسكنه القفار

له فى الليل حظ من صلاة

ومن صوم اذا طلع النهار

وقوت النفس يأتيها كفافاً

وكان له على ذاك اصطبار

وفيه عفة وبه خمول

اليه بالاصابع لايشار

فذلك قد نجا من كل شر
ولم تمسسه يوم البعث نار

قال الامام الغزالى رحمه الله تعالى فى اول قصيدة المذكورة

قل لاخوان راونى ميتاً
فبكونى ورثوا لى حزناً

اى قل ايها الصاحب المذكور فى اصل القصة لاخوانى فى الدين وتلامذتى فى الدلالة على طريق اليقين وهم جمع اخ قال الجوهرى الاخ اصله بالتحريك اخو لانه جمع على اخاء مثل اباء والذاهب منه واو لانك تقول فى التثنية اخوان وبعض العرب يقول اخان على النقص ويجمع ايضا على اخوان مثل حزب وحزبان وعلى اخوة واخوة واكثر مايستعمل الاخوان فى الاصدقاء والاخوة فى الولادة وقد جمع بالواو والنون قال الشاعر:

وكان بنوافزارة شر قوم
وكنت لهم كشر بنى الاخينا

وقال الجوهرى ايضا الموت ضد الحياة وقدمات يموت ويمات فهو ميت وميت يعنى بالتشديد والتخفيف وقوم موتى واموات وميتون مشددا او مخففا واصل ميت ميوت

على فيعل ثم ادغم ثم يخفف فيقال ميت قال الشاعر وقد جمعها فى بيت :

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الاحياء

ويستوى فيه المذكر والمؤنث قال تعالى لنحيي به بلدة ميتا ولم يقل ميتة قال الفرا يقال لمن لم يمت انه مايت عن قليل وميت ولا يقولون لمن مات هذا مايت وقال الجوهرى ايضا البكا ممدود ومقصور فاذا مددت اردت الصوت الذى يخرج مع البكاء واذا اقصرت اردت الدموع وخروجها قال الشاعر:

بكت عينى وحق لها بكاها
وما يغنى البكاء ولا العويل

وبكيته وبكيت عليه بمعنى قال الاصمعى بكيت الرجل وبكيته كلاهما اذا بكيت عليه وقال ابن فارس فى المجمل رثيت لفلان اذا رققت له ورثى للميت بالشعر وربما قالوا رثاه بالشعر واصحابنا يعدونه من غلط البصرين والحزن بالتحريك لغة فى الحزن بالسكون وهو الغم والكرب .

اتظنون بانى ميتكم

ليس ذاك الميت والله انا

الهمزة للاستفهام الانكارى اى لاتظنوا ذلك كقوله تعالى اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين اى لاتدعوا ذلك واضافة الميت اليهم لانه بين ايديهم والقسم على كونه ليس هو ذلك الميت صدق لانه ماهو الجسم ليكون هو ذلك الميت وانما هو النفس الانسانية التى كانت متعلقة بالجسم ثم بموت الجسم انفصل ذلك التعلق فلم تتصف تلك النفس بالموت وانما اتصفت بذوقه باعتبار العلاقة الجسمانية التى كانت قال تعالى كل نفس ذائقة الموت والذائق للشئ لابدان يكون موصوفاً بالحياة فى حالة ذوقه لذلك الشئ والا لما كان ذوقاً اصلاً واختلف فى كون الموت امراً وجودياً اوهو عدم الحياة قال شيخى زاده فى حاشية البيضاوى واستدل على كون الموت امراً وجودياً بقوله تعالى خلق الموت فان الخلق هو الايجاد والايجاد لايتعلق بالامر العدمى واجيب بان المراد من الخلق هو التقدير والامور كلها وجودية كانت اوعدمية مقدرة فى الازل وبان المراد بخلق الموت احداث اتصاف الحى به بعد مالم يكن وذلك لايقتضى كون الصفة امراً وجودياً وقال

الشيخ الاكبر محى الدين ابن العربى قدس الله سره فى الفتوحات المكية فى الباب الثامن والخمسين وخمس مائة ليس الموت بازالة الحياة فى نفس الامر عند اهل الكشف ولكن الموت عزل وال وتولية وال لانه لايمكن ان يبقى العالم بلا وال يحفظ عليه مصالحه لئلا يفسد فاستناد الموت اذا كان عبارة عن الانتقال والعزل يستند الى حقيقة الآلهية وليس الافراغ الحق من شئ الى شئ آخر فماله فيما فرغ منه من حكم ذلك المفروغ منه وليس الايجاد عينه خاصة ومابقى الشغل وعدم الفراغ الافى ايجاد مابه بقاؤه فى الوجود فالى هذه الحقيقة الآلهية يستند الموت فى العالم الاترى الى الميت يسئل ويجيب ايماناً وكشفاً وانت يامحجوب تحكم عليه فى هذه الحال عينا انه ميت وكذا جاء ان الميت يسئل فى قبره ومازال عنه اسم الموت السؤال فان الانتقال موجود فلولا انه حى فى حال موته ماسئل فليس الموت بضد للحياة ان عقلت .

ثم قال بعد ذلك الموت عبارة عن الانتقال من منزل الدنيا الى منزل الاخرة ماهو عبارة عن ازالة الحياة منه فى نفس الامر وانما الله قد اخذ بابصارنا فلاتدرك حياته وقد ورد النص فى الشهداء فى سبيل الله انهم احياء يرزقون

ونهانا ان نقول فيهم اموات فالميت عندنا منتقل وحياته
باقية عليه لاتزول وانما يزول الوالى وهو الروح عن هذا
الملك الذى وكله الله بتدبيره ايام ولايته عليه والميت عندنا
يعلم من نفسه انه حى وانما تحكم عليه بانه ليس بحى جهلاً
منك ووقوفاً مع بصرك ومع حكمك فى حاله قبل اتصافه
بالموت من حركة ونطق وتصرف وقد اصبح متصرفاً وهو
تنبيه من الله تعالى لنا ان الامر كذا هو التصرف فيه للحق
لالك فى حال دعواك التصرف ثم انه على الحقيقة متصرف
هذا الميت بالحال لابالقول ولولا تصرفه فيك وهو تصرفه
فيمن شرع لك هذا فهذا تصرف فى الاحياء وهم لايشعرون
وتصرف فيك وانت لاتشعر وتخيلت انه مابقى له فيك
حكم وحكمه بموته اعظم من حكمه فيك بحياته اعنى بعد
موته فالموت انتقال خاص على وجه مخصوص فمن كونه انتقالاً
لايستند الى حقيقة آلهية خاصة وتمامه هناك والله اعلم
واحكم .

انا فى الصور وهذا جسدى

كان بيتى وقميصى زمنا

يعنى، انا الآن بعد موتى كائن فى الصور اى صور
اسرافيل عليه السلام وهو اما قرن من اعلاه ضيق على
مقدار فم اسرافيل عليه السلام يعنى مقدارا واحداً لامن
حيث انه صغير او كبير لان الصغير والكبير من خواص
الاجسام واسرافيل ملك روحانى لايوصف بمقتضى
صفات الاجسام الطبيعية العنصرية وادناه واسع يعنى مقادير
كثيرة بعدد الخلائق كلهم فاذا خرجت الروح من الجسد
كان لها محل فى ذلك الصور تكون فيه حتى تنفخ فى ذلك
الجسد يوم القيامة كما كانت واما ان الصور جمع صورة والميت
بعد مفارقته الجسد الترابى العنصرى له صورة روحانية
يكون فيها حتى ينفخ فيه فيرجع الى جسده الاول العنصرى
قال شيخى زاده فى حاشية البيضاوى والنفخ فى الصور اما
بمعنى نفخ الارواح فى اجساد الاموات فيكون الصور جمع
صورة نحو سيرة وسير واما بمعنى نفخ اسرافيل فى القرن
والصور حينئذٍ مفرد معناه القرن الذى ينفخ فيه للبعث

انتهى كلامه. وفى الفتوحات المكية للشيخ الاكبر قدس سره
فى الرابع والثمانين والمائتين واعلم ان الروح الانسانى اوجده
الله تعالى حين اوجده مدبراً لصورة طبيعية حسية له
سواء كان فى الدنيا اوفى البرزخ اوفى الدار الاخرة اوحيث
كان فأول صورة لبسها الصورة الجسمانية الدنيوية وحبس
بها فى رابع شهر من تكوين صورة جسده فى بطن امه الى
ساعة موته فاذا مات حشر الى صورة اخرى من حين
موته الى وقت سؤاله فاذا جآء وقت سؤاله حشر من
تلك الصورة الى جسده الميت فيحيي به ويؤخذ عن ابصار
الناس واسماعهم عن حياته بذلك الروح الا من خصه الله
تعالى بالكشف على ذلك من نبى اوولى من الثقلين واما
سائر الحيوانات فانهم يشاهدون ذلك عيناً وسماعاً ثم يحشر
بعد السؤال الى صورة اخرى فى البرزخ يمسك فيها الى
نفخة البعث فيبعث من تلك الصورة ويحشر الى الصورة
التى كان فارقها فى الدنيا ان كان بقى عليه سؤال فان لم يكن من
اهل ذلك الصنف حشر فى الصورة التى يدخل بها
الجنة اوالنار والمسئول يوم القيامة اذا فرغ من سؤاله حشر
فى الصورة التى يدخل بها الجنة اوالنار واهل الجنة كلهم
مسئولون فاذا دخلوا واستقروا فيها ثم دعوا الى الرؤية

وبادروا حشروا فى صورة لاتصلح الا للرؤية فاذا عادوا
حشروا فى صورة تصلح للجنة وفى كل صورة ينسى صورته
التى كان عليها ويرجع حكمه حكم الصورة التى انتقل اليها
وحشر فيها فاذا دخل سوق الجنة ورأى مافيه من الصور
فاى صورة رآها واستحسنها حشر فيها فلا يزال فى الجنة
دائماً يحشر فى صورة الى صورة الى مالا نهاية له ليعلم
بذلك الاتساع الالهى فكما لاتتكرر عليه صورة التجلى
كذلك يحتاج هذا المتجلى اليه ان يقابل كل صورة تجلى
له بصورة اخرى تنتقل اليه فى تجليه فلا يزال يحشر
فى الصور دائماً يأخذها من سوق الجنة ولا يقبل من تلك الصور
التى فى السوق ولايستحسن منها الامايناسب صورة التجلى
التى تكون له فى المستقبل لان تلك الصورة هى كالاستعداد
الخاص لذلك التجلى . فاعلم هذا فانه من لباب المعرفة الالهية
ولو تفطنت لعرفت انك الان تحشر فى كل نفس فى صورة
الحال التى انت عليها ولكن يحجبك عن ذلك رؤيتك المعهودة
وما كنت تحس بانتقالك فى احوالك التى عنها يتصرف
ظاهرك وباطنك ولكن لاتعلم انها صورة لروحك تدخل
فيها فى كل آن وتحشر فيها ويبصرها العارفون صوراً
صحيحة ثابتة ظاهرة العين انتهى .فعلى هذا يكون قوله انا

فى الصور اى صور اسرافيل عليه السلام اى امافى عالم التطور
فى الصور المختلفة كما ذكر فالصور جمع صورة فهى حاصلة
من روحانية اسرافيل عليه السلام كما ان الخيال الباطنى
و هو الصورة الباطنة من روحانية جبريل عليه السلام
والحالة البرزخية بين الروحانية والجسمانية والحسية والخيالية
من روحانية ميكائيل عليه السلام وهى النفس الانسانية
والصورة البشرية الحيوانية واما الحالة الوهمية الباطنية فهى
من روحانية عزرائيل عليه السلام وبالوهم يقع قبضه للارواح
بطريق الاستيلاء ومن كان فى التطور بالصور المذكورة
كان فى قرن من النور اعلاه ضيق واسفله واسع وسماه الله
تعالى الناقور من النقر على وجه المبالغة فهو تطور فى الصور
المختلفة بطريق الازعاج والاقلاق والايلام وذلك بالنسبة
الى الكافرين كما قال تعالى فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ
يوم عسير على الكافرين غير يسير اى على الساترين للحق
باستيلاء الوهم على انفسهم فى الموت الطبيعى فهو صور فى حق
المؤمنين وناقور فى حق الكافرين .

وقوله «هذا جسدى» اشار الى الصورة الجسمانية التى
خلعها بالموت ودخل فى صورة غيرها من الصور المذ
كورة كان اى جسدى فى الحياة الدنيوية يبقى الذى

اسكنه والآن خرجت منه وتركته وكان قميصى الذى
كنت البسه زمنا اى مدة بقائى فى الحياة الدنيا راجع
الى قوله يبقى وقميصى على انه ظرف كان وفى شرح المناوى
على القصيدة العينية للحكيم ابن سينا قال هذا الجسم يجرى
من النفس مجرى الثوب من البدن فان الجسد يحرك الثوب
بواسطة اعضائه الظاهرة والنفس تحرك البدن بواسطة
قوىً خفيةً مناسبةً وقواها تظهر فى مواضع البدن تبلغ
عشرا . واعلم ان الانسان يطلق على معنيين احدهما محسوس
مشاهد يراه البصر ويحسه اللمس عالم بالشهادة مؤمن بالغيب
الثانى النفس الناطقة وللانسان الاول لوازم وخصائص
يتميز بها عن نفس الثانى وكذا الثانى بل اكثر اوصافه
تباين الاول فان الاول ميت بطبعه حى بالذات بل هو
عين الحياة والاول محسوس والثانى لا يدرك الا بالعقل
والانسان عند اهل التحقيق هو الثانى وتسمية الاول بالانسان
مجاز كما سمى ضوء الشمس شمسا فكما ان ضوءها قائم بالنفس
تابع يستدل به عليها فكذا الانسان الظاهر ظل وشبح للانسان
الحقيقى وكما اطلق اسم الشمس التى هى الذات على الضوء التابع
لها اطلق اسم الانسان الحقيقى على المحسوس لانه مظهر
افعاله ومحل تصرفه .

انا كنز وحجابى طلسم

من تراب كان لى فيه عنا

الكنز فى الاصل هو المال المدفون تحت الارض ولما كان الجسم من تراب كان ارضا بالنظر الى ستره للنفس الناطقة الانسانية المتعلقة به فكنى عنها بالكنز ثم جعل حجابه الذى يحجبه عن ان يراه الغير هو طلسمه ورصده وهو جسمه المخلوق من التراب ثم اخبر انه كان له فيه عنا اى تعب بمقاساة الحياة الدنيوية ومؤنتها وما يعتريه فيها من الاحوال الطبيعية ومكابدة المادات العنصرية .

انا در قد حواه صدف

كنت ممحواً فعفت المحنا

الدر جمع درة وهى اللؤلؤة الكبيرة والصدف وعاء اللؤلؤ كنى عن نفسه الانسانية الناطقة بالدر لنفاستها وعظم قدرها وقال در ولم يقل درة اشارة الى كثرة اطوار النفس الناطقة فى عوالمها الاخروية وكل طور نفيس كالدرة والصدف هو الجسم ولم يقل صدفة ايضاً لاختلاف احوال

الجسم من الصغر الى الكبر وتطوره الاطوار الكثيرة من حين كان نطفة الى ان صار جيفة. وقوله وكنت ممحواً اى ممتحنا بالالفة لهذا الجسم والخدمة لمزاجه وطبيعته فعفت اى تركت المحنا جمع محنة والالف للاطلاق يعنى اعرضت الان عن الجسم وعن مقتضياته الطبيعية وتخلصت من ذلك كله .

انا عصفور وهذا قفصى

طرت منه وبقى مرتهنا

شبه نفسه الانسانية الناطقة بالعصفور لسرعة طيرانه وخفته من بين سائر الطيور واشار الى الجسم انه كان قفصاً له يمنعه من الطيران بسبب تعلقه به وانتشار قواه فيه فحين مات طار من قفص الجسم وبقى ذلك القفص الذى هو جسمه مرتهنا بصيغة اسم المفعول اى مرهونا فى القبر الى ان يبعث اليه فى يوم القيمة .

أحمد الله الذى خلصنى

وبنى لى فى المعالى سكنا

الحمد هو الشكر اى اشكر واجب الوجود الذى خلصنى بالموت من حس الحياة الدنيا وما كنت اقاسى فيها من الاخطار والاتعاب الحسية والمعنوية ولهذا ورد فى حديث الجامع الصغير قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم تحفة المؤمن الموت وفى شرحه للمناوى قال لان الدنيا محنته وسجنه وبلاؤه اذ لا يزال فيها فى عنا من مقاساة نفسه ورياضة شهواته ومدافعة شيطانه والموت اطلاق له من هذا العذاب وسبب لحياته الابدية وسعادته السرمدية ونيله للدرجات العلية فهو تحفة فى حقه وهو وان كان فناءً واضمحلالاً ظاهراً لكنه فى الحقيقة ولادة ثانية ونقلة من دار الفنا الى دار البقا ولولم يكن الموت لم تكن الجنة ولهذا من الله تعالى علينا بالموت فقال خلق الموت والحياة قدم الموت على الحياة تنبيهاً على انه يتوصل منه الى الحياة الحقيقية وعده علينا من الآلاء فى قوله كل من عليها فان ونبه بقوله ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين . ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم انكم يوم القيامة تبعثون على ان هذه التغيرات لخلق احسن فنقض هذه

البنية لاعادتها على وجه اشرف قال ابو داود ما من مؤمن الا والموت خير له فمن لم يصدق فان الله يقول وما عند الله خير للابرار . وقال حبان ابن الاسود الموت جسر يوصل الحبيب الى الحبيب والمؤمن كريم على ربه فاذا قدم عليه اتحفه ولقاه روحاً وريحانا وأمر له بقبره بكسوة ورياحين وبرد مضجعه وآنسه بملائكة كرام الى ان يلقاه . وقال الامام الرازى الموت سبب لخلاص الروح من زحمة البدن والاتصال بحضرة الله تعالى ورحمته فكيف يكون من المكاره ومن ثم تمناه كثير وتمنى آخرون البقاء لاقامة الدين واكثار العمل الصالح الرافع للدرجات المذهب للخطيآت . وفرقة ثالثة لم تختر شيأ بل اختارت ما اختار الحق لها ومنهم الصديق رضى الله عنه قيل له فى مرضه الا تدعو طبيبا قال قد رآنى قال فما قال قال قال انا الفعال لما اريد انتهى .

وقوله وبنى لى اى اعمر لى بفضله واحسانه وتوفيقه للعمل الصالح وامتنانه فى المعالى اى المراتب العالية وهى فراديس الجنان ومقامات اهل الرضوان والسكن بالتحريك كل ما سكن اليه اى وقع الاطمئنان به من دار وعقار ومتاع وغير ذلك والمراد هنا المنزل والمقام الذى يسكن فيه الانسان وكان ذلك منه لحسن ظنه بربه وفرط رجائه فى كرمه واحسانه .

كنت قبل اليوم ميتاً بينكم

فحييت وخلعت الكفنا

يعنى ليس ماانا فيه الان موتاً انما الموت هو ما كنت فيه لما كنت حياً بينكم بالحياة الدنيا ولما مت الان حييت من ذلك الموت وخلعت الجسم الذى كان لى كفنا فى موت الحياة الدنيا وهو على العكس مما هو المعروف عند القاصرين ولاشك فى ذلك ولهذا ورد فى الحديث الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا والنوم اخو الموت وقال المناوى فى شرح عينية ابن سينا النفس عند انفراق بالموت يزول عنها حجاب البدن فينكشف الغطاء فتدرك مالا يتصور ان تدركه اذا كانت متعلقة به والملتبسون بالبدن نيام لتعلق نفوسهم بابدانها محجوبون عن الادراك الحاصل للنفوس المجردة عن الابدان كما ان النائم محجوب عن ادراك مايدركه اليقظان وقد اخبر تعالى عن هذه الحالة بقوله فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا .

وانا اليوم اناجى ملاءً

وارى الله جهاراً علنا

المناجاة هى الكلام الخفى والمراد الخطاب الروحانى الذى يقع بين الملائكة لا بجارحة اللسان بل بالتوجه النفسانى الحامل لصور المعانى واعلم ان النفس الانسانية التى هى الانسان بالحقيقة خلقها الله تعالى قابلة بالطبع الى العلوم من الملاء الاعلى لمناسبة جوهرها لجوهر الملائكة والجنسية علة الضم وكما ان انضمام بعض الاجسام لبعض انما هو بتلاقى سطوحها فانضمام الأرواح باتحاد العلوم فكل نفس علمت ماعلمته الاخرى فقد انضمت اليها وقربت منها حتى لو فرض ان نفسين اتحدا فى جميع المعارف حصل بينهما الاتحاد بالكلية وقد شهدت الدلائل القطعية والنقلية على ان نفوس الملائكة السماوية منتقشة وعالمة بالكائنات قبل حدوثها وذلك لما علمها الله تعالى من العلوم الغائبة عن الانفس البشرية وانما منع النفوس الانسانية التلقى من الملأ الأعلى اشتغالها بهذا العالم فاذا تركت النفس فى حالة الموت استعمال الحواس الظاهرة ورجعت الى القوى الباطنة خف عنها بعض اعباء الموانع ذكره المناوى فى شرح العينية . وقوله وارى الله جهارا

واراه من غير التباس ولا اشتباه وذلك لزوال الموانع عن الرؤية وهى النفس الحيوانية ومقتضياتها قال صلى الله عليه وآله وسلم انكم ان تروا ربكم حتى تموتوا اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير وقال شارحه المناوى انكم ايها المؤمنون لن تروا ربكم باعينكم يقظة حتى تموتوا فاذا متم رأيتموه فى الآخرة رؤية منزهة عن الكيفية اما فى الدنيا يقظة فلغير الانبياء عليهم السلام ممنوعة ولبعض الانبياء عليه السلام ممكنة فى بعض الاحوال كما فى تفسير القاضى البيضاوى وقال القشيرى ان قيل هل يجوز للاولياء رؤية الله بالبصر فى الدنيا على جهة الكرامة قلنا الاقوى لا يجوز للاجماع عليه قال وسمعت ابن فورك يحكى عن الاشعرى فيه قولين قال النووى قلت نقل جمع الاجماع على انها لا تحصل للاولياء فى الدنيا قال وامتناعها بالسمع والا فهى ممكنة بالعقل عند اهل الحق .

عاكف فى اللوح اقرا وارى

كلما كان تنائى ودنا

عاكف اى مستمر قال ابن فارس العكوف الاقبال على الشى ملازمة انتهى واللوح هو اللوح المحفوظ الذى

كتب الله فيه جميع ما هو كائن الى يوم القيامة والجار والمجرور متعلق باقراء وذلك لالتحاقه بالملاء الاعلى من الملائكة المطلعين على اللوح المحفوظ وقوله وارى اى بالعين الروحانية جميع ما كان فى اللوح مما تنائى اى بعد حصوله بان كان سيقع فى الزمان المستقبل ودنا اى قرب حصوله فى الحال من جميع الكوائن الزمانية والاحوال التى تجرى فى الحياة الدنيوية .

وطعامى وشرابى واحد

وهو رمز فافهموه حسنا

ليس خمراً سائغاً او عسلاً

لا ولا ماءً ولكن لبنا

فافهموا السر ففيه نبأ

اى معنى تحت لفظى كمنا

ثم لما دخل فى العالم الروحانى اخبر ان طعامه وشرابه من جنس ما هم عليه الروحانيون من الملائكة وهو نوع واحد وهو التسبيح والتقديس لله تعالى ثم قال وهو رمز اى مرموز لكم فافهموه فهما حسنا تعرفون

وتدرون فى اى رتبة من التسبيح هو وذلك بنظرهم فى مقام من العلم الالهى بتصفح كلامه المأثور عنه وكتبه المشهورة ثم اخبر ان ذلك ليس من قسم الخمر الذى يوجب الغيبة والاستغراق من العلوم الالهية ولا من قسم العسل الذى يقتضى الحلاوة واللذة لذائقه فقط ولا من قسم الماء الذى يوجب مجرد الحياة الابدية وانما هو من قسم اللبن الذى هو مقتضى النظرة الاسلامية والعلوم المحمدية وقد ورد فى خبر المعراج ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم عرض عليه قدح من خمر وقدح من لبن فشرب اللبن وقال جبريل عليه السلام قد اصبت الفطرة ولو شربت الخمر لسكرت امتك وهى علوم صحو الجمع فى مقام الغرق . الثانى وقد اشار اليه بقوله فافهموا السر اى سر اللبن ان كنتم من اهل الفهم عن الله تعالى لا عن احد. ثم قال اى معنى تحت لفظى اى قولى لبنا وهو السر المرموز كمنا اى اكتمن واختفى فلا يعرفه الا الكامل المحمدى والوارث الاحمدى .

فاهدموا بيتى ورضوا قفصى

وذروا الطلسم يفنى بفنا

ورداىٔ وقميصى مزقوا

واتركوا الكل دفيناً بفنا

قد ترحلت وخلفتكم

لست ارضى داركم لى وطنا

هذا تسلية منه لهم على فراقه كانه استشعر منهم كمال التأسف عليه فامرهم ان يوقعوا به ماهو واقع به لامحالة بعد موته من كثرة استلذاذه بالعالم الروحانى وشدة فرحه لفراق العالم الجسمانى موضع الموانع والحجب عن الكمالات الانسانية ثم لما كنى فيما مر عن جسمه بالبيت وبالقفص وبالطلسم وبالقميص ناسب ذلك بقوله فاهدموا بيتى ورضوا بالضاد المعجمة المشددة اى اكسروا قفصى وذروا اى اتركوا الطلسم وهوا الرصد المحكم يعنى يفنى اى يضمحل ويزول بفنا اى باضمحلال وزوال اى اضمحلال كان باى وجه كان والفنا فى البيت الثانى بكسر الفاء وهو الناحية من

الارض يقال فنا الدار اى ناحية منها وقوله لست ارضى دارکم اى دارکم الدنيالى وطنا وذلك لما وجد عند الموت من بشائر النعيم المقيم قال الاسيوطى فى كتاب بشرى الكئيب بلقاء الحبيب اخرج الديلمى فى مسند الفردوس عن الحسين بن على رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الموت ريحانة المؤمن واخرج ايضا عن عائشته رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت غنيمته المؤمن واخرج احمد فى مسنده عن محمود بن لبيد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يكره ابن آدم الموت والموت خيرله من الفتنة واخرج ابن المبارك فى الزهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن وسنته فاذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة واخرج ابن المبارك عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال ان الدنيا جنة الكافر وسجن المؤمن وانما مثل المؤمن حين تخرج نفسه كمثل رجل كان فى سجن فاخرج منه فجعل يتقلب فى الارض ويتفسح فيها واخرج ابن ابى شيبة عن عبدالله بن عمر رضى الله عنه قال الدنيا سجن المؤمن فاذا مات يخلى سربه فيسرح حيث شاء واخرج ابن ابى الدنيا عن مالك

ابن مغول قال بلغنى ان اول سرور يدخل على المؤمن الموت من كرامة الله وثوابه .

واخرج الاصبهانى فى الترغيب عن انس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال ان حفظت وصيتى فلايكونن شىء احب اليك من الموت واخرج احمد فى الزهد وابن ابى شيبة عن ابى الدرداء انه قيل ماتحب لمن تحب قال الموت وعن ابى الدرداء قال ماهدى لى اخ هدية احب الى من السلام ولابلغنى عنه خبرا عجب الى من موته واخرج ابن ابى شيبة عن عبادة بن الصامت قال اتمنى لحبيبى ان يعجل موته واخرج ابن ابى الدنيا عن محمد بن عبدالعزيز التيمى قال قيل لعبد الاعلى التيمى ما تشتهى لنفسك ولمن تحب من اهلك قال الموت وقال الخطابى انشدنا بعض اصحابنا المنصور بن اسمعيل :

قدقلت مذمدحوا الحياة واكثروا
فى الموت الف فضيلة لاتعرف
منها امان لقائه بلقائه
وفراق كل معاشر لاينصف

وللعباس بن الاحنف:

تبكى رجال على الحياة وقد
افنى دموعى شوقى الى الاجل
اموت من قبل ان يضرنى
الدهر فانى منه على وجل

وفى شرح المناوى على الجامع الصغير قيل لابى حازم مالنا نكره الموت قال لانكم خربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم الانتقال من العمران الى الخراب. ولما احتضر بشر فقيل له اتفرح بالموت قال تجعلون قدومى على خالق ارجوه كمقام مع مخلوق اخافه .

لاتظنوا الموت موتاً انه
لحياة وهو غايات المنى

اللام فى قوله لحياة لام القسم المقدر والمعنى لاتحسبوا ان الموت محض اعدام انما هو حياة حقيقية ابدية بعد زوال الحياة الوهمية الدنيوية الفانية الزائلة والغايات جمع غاية بمعنى النهايات والمنى جمع امنية وهى المأمول والقصد ان كل عالم عارف يتحقق بان الموت شئ حسن ويعرف ان فيه السلامة من الاخطار ويعلم مامر من الاخبار .

حى ذا الدار نؤم مغرق
فاذا مات اطار الوسنا

الحى ضد الميت يعنى ان الانسان الحى فى هذه الدار الدنيا نؤم اى كثير النوم مغرق من اغرق فى نومه اذا اشتدت فيه وصعبت يقظته فاذا مات اطار اى ازال عنه موته الوسنا اى النوم وهو من قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث المتقدم ذكره الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا . قال المناوى فى شرح العينية فى الكلام على هذا الحديث ان مباشرة النفس للاحوال البدنية هى التى تكسب النفس هيأت السعادة والكمال وتكسوها لباس الشقاوة والوبال وان لكل فعل من الحواس تأثيراً فى كل من الهيئتين وان لم يشعر به الانسان حال حياته الجسمانية وينكشف له عند حياته النفسانية فيشاهد عند خلق الجسد ثمرات بفعاله من مسعداتها ومشقياتها وصغائرها وكبائرها والى مشاهدة تأثير جميع الافعال يشير قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره وقوله كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فان نفس الانسان كتاب محفوظ فيه ارواح افعاله وهى الهيآت الحاصلة منها وانما يقرأه الانسان بعد الموت اذ هو حينئذ

تنبيه عن رقدة الغفلة ويرجع الى احوال ذاته بعد ان كان مستهتراً باحوال البدن مستغرقاً باصلاحها بتربيته وكما الانسان النائم يرى صوراً وهو غافل عن معناهـا حتى اذا انتبه من النوم ودفع ذلك المعنى المصور بصور الاحلام علم مامعنى تلك الصور التى رآها فى المنام فكذا الانسان حالة الحياة الدنيا غافل عما يفعله من البر والآثام وانما حظه من تلك الامور خواطرها فقط وهو غافل عن ارواح تلك الافعال وهى جهل النفس سعيدة اوشقية بانواع السعادات اوالشقاوات . فيظهر من ذلك للنفس بعد الموت تأثير تلك الافعال فتصور عباداتها لخالقها صوراً حسناً مونسة وعصيانها له صوراً موحشة قبيحة فينعم غاية التنعيم بالاولى ويتأذى غاية التأذى بالثانيه قال عليه وآله الصلاة والسلام انما هى اعمالكم ترد عليكم وتفاصيل رؤية الافعال الحسنة صوراً بهية جميلة ورؤية الافعال القبيحة صوراً منكرة قبيحة كثيرة جداً فى الكتاب الالهى وكلام صاحب الشريعة انما هى اشارات الهيآت التبست النفس بها عند اشتغالها بالبدن عن الهيآت الملكية والشيطانية فترى بالاولى فضاء السموات وعالم الملكوت ومنازل الارواح الطاهرة فراى هناك النعيم

الابدى والابتهاج السرمدى مما لاعين رأت ولا اذن سمعت وتحط بالثانية الى هاوية الجحيم وهى عالم الشياطين والارواح الناقصة المظلمة المقيدة فى عالم الطبيعة فان تمحضت الاولى فقد نال صاحبها فوزاً عظيماً وان تمحضت الثانية خسر خسراناً مبينا وان اجتمعت الهيآت وهو الغالب فالحكم للغالب فى العاقبة والله تعالى اعلم واحكم .

لا تروعكم هجمة الموت فما
هو الا نقلة من هاهنا

الروع الخوف اى لا تخفكم هجمة الموت عليكم يعنى اتيانه لكم وهلة وغفلة منه وان كان من طبع البشر ذلك فجاهدوا انفسكم فى عدم الخوف منه بما ورد اذكروا هادم اللذات وذلك لان الموت مجرد نقلة من دار الدنيا الى دار الآخرة وليس هو انعداماً للنفس الانسانية قال السيوطى فى بشرى الكئيب قال العلماء الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وانما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن وانتقال من دار الى دار واخرج ابو نعيم فى الحلية عن عمر بن عبدالعزيز قال انما خلقتم للابد ولكنكم تنتقلون من دار الى دار . واخرج عن بلال بن سعيد انه قال انكم لم تخلقوا للفنا

وانما خلقتم للخلود والابد ولكنكم تنقلون من دار الى دار . وقال ابن القيم للنفس اربعة دور كل دار اعظم من الدار التى قبلها الأولى بطن امه وذلك محل ضرورة الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث . الثانية هذه الدار التى نشأت فيها واكتسبت فيها الخير والشر . والثالثة دار البرزخ وهى اوسع من هذه الدار ونسبة هذه الدار اليها كنسبة بطن الام الى هذه . الرابعة دار القرار فى الجنة أو النار ولنا فى كل دار من هذه الدور حكم وشأن غير شأن الاخرى .

واخرج ابن ابى الدنيا عن عامر الجابرى مرفوعاً ان مثل المؤمن فى الدنيا كمثل الجنين فى بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا رأى الضوء ورضع لم يحب انه يرجع الى مكانه وكذلك المؤمن يخرج من الموت فاذا افضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع الى بطن امه . واخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الاصول عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماشبهت خروج المؤمن من الدنيا الا مثل خروج الصبى من بطن امه من ذلك الغم والظلمة الى روح الدنيا . واخرج النسائى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماعلى

الارض من نفس تموت الا ولها عند الله خير ان ترجع اليكم ولها نعيم الدنيا ومافيها انتهى .

وما احسن قول الشاعر فى مثل هذا المعنى المذكور :

لا تجزعن فما طول الحياة سوى
روح تردد فى سجن من البدن
ولا يهولك امر الموت وارض به
فانما موتنا عود الى الوطن

وخذوا فى الزاد جهداً لا تنوا
ليس بالعاقل منا من ونا

اى تزودوا مقدار جهدكم واستطاعتكم من تقوى الله تعالى الى ما بعد الموت كما قال تعالى وتزودوا فان خير الزاد التقوى . ولا تنوا اى لا تقصروا فى ذلك قال الجوهرى الونى الضعف والفتور والكلال والاعيا يقال ونيت فى الامر انى ونا وونياً ضعفت فانا وان والعاقل الذى لا يضعف عن ذلك ولا يقصر فيه . وذكر النجم الغزى رحمه الله تعالى فى كتابه منبر التوحيد عن لقمان عليه السلام انه قال لابنه يا بنى ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها

ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الايمان
بالله وشراعها التوكل لعلك ناج وما اظنك ناج .. وقال بعض
الشعراء في معناه :

ايها المرء ان دنياك بحر
طامح موجه فلا تأمننها
وطريق النجاة فيها يسير
وهو اخذ الكفاف والقوت منها

واحسنوا الظن برب راحم
شاكر للسعي وأتوا امنا

يعني حسنوا ظنكم بربكم ولا تسيئوا الظن به فانه راحم
لكم على كل حال ان جئتم اليه محسنين او مسيئين وانتم
في حال احسانكم محتاجون الى رحمته مثل ما انكم في حال
اسائتكم محتاجون الى رحمته ايضاً في الاحسان تحتاجون
الى قبول احسانكم وفي الاسائة تحتاجون الى تجاوزه ولهذا
قال عليه وآله الصلاة والسلام حسن الظن من حسن
العبادة اي حسن الظن بالله تعالى او به وبصلحاء المسلمين
وورد في الخبر انا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً . ثم

وصفه تعالى بانه شاكر للسعي اي لسعي عبده اذا فعل
عبده الطاعات يشكرها له ويثيبه عليها في يوم القيامة . وقوله
وأتوا امنا اي اذا جئتم الى حضرة ربكم بالموت والانتقال
من دار الدنيا الى دار الآخرة تكونوا امنا جمع امين
من الامانة ضد الخيانة اي محافظين على امتثال اوامره
سبحانه واجتناب نواهيه القطعية والظنية .

عنصر الانفس منا واحد
وكذا الجسم جميعاً عمنا
ما ارى نفسي الا انتم
و اعتقادي انكم انتم انا
فارحموني ترحموا انفسكم
و اعلموا انكم في اثرنا

العنصر هو الاصل يعني اصل النفس منا كلها واحدة
وهي نفس آدم عليه السلام مخلوقة ونفس حوى مخلوقة
من آدم ورتب هذا على قوله قبله وأتوا امنا يعني موتوا
على تقوى الله تعالى لانه تعالى له قدرة قاهرة وكلمة باهرة

ونعمة سابغة ومنة بالغة حيث خلقكم كلكم من نفس واحدة
بعدما خلق منها تلك الوالدة وهو من قوله تعالى يا ايها الناس
اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها
زوجها قال البيضاوى فى النفس الواحدة هى آدم عليه السلام
وخلق منها امكم حوى من ضلع من اضلاعه وترتيب
الامر بالتقوى على هذه القصه لما فيها من الدلالة على القدرة
القاهرة التى من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التى توجب
موليها قال ابن جميل التونسى فى التنوير مختصر التفسير الكبير
تفسير الرازى ذكر تعالى انه خلقنا من نفس واحدة فهناك
امران الاول انه خلقنا وذلك علة لوجوب الانقياد علينا
والخضوع لتكاليفه لانا عبيده وهو مولانا ويجب على العبد
الانقياد لمولاه وربه ولانه انعم من بوجوه الانعام والامتنان
فأوجد وأحيى وعلم وهدى فعلى العبد ان يقابل تلك النعم
بانواع الخضوع واظهار الانقياد ولانه يكون موجداً وخالقاً
وربا يجب علينا عبادته وامتثال اوامره واجتناب نواهيه
ويلزم من ذلك ان لا توجب هذه الافعال ثواباً لان اداء
الحق لمستحقه لا يوجب ثواباً هذا ان سلمنا ان العبد
اتى بتلك الطاعات من عند نفسه فكيف وهذا محال لان الطاعات

لا تحصل الا بخلق الله تعالى القدرة عليها والداعية اليها ومجموعهما
موجب لصدور الطاعة فتكون تلك الطاعة انعاماً آخر .
والثانى انه خلقنا من نفس واحدة فذلك ايضا يوجب
طاعته علينا لان ذلك يدل على كمال القدرة لان ذلك لو كان
بالطبيعة لما تولد عن الانسان الا انسان يشاكله او يشابهه
فى الخلقة والطبيعة ولما اختلف الناس فى الصفات والالوان
دل على ان الخالق فاعل مختار قادر عالم وحينئذ يجب الا-
نقياد لتكاليفه وايضاً فمن عرف ان الناس من نفس واحدة
ترك المفاخرة والتكبر ولان فى ذلك دلالة على المعاد لان
من قدر على خلق هذا العالم من شخص واحد قدر على
اعادتهم . قال الاصم وفيه اخبار بالغيب فهو معجز لان العقل
لا يدل على ذلك ولما كان صلى الله عليه وآله وسلم واخبر
بذلك على ماهو عليه وانما يعرف ذلك بالسمع كان صادقا ولما
كانت حوى مخلوقة من آدم كان الجميع منه والاجماع على
ان المراد به آدم انتهى .

وقوله وكذا الجسم اى الجسم الواحد الذى هو جسم
آدم عليه السلام جميعا عمنا اى عمنا جميعا فخلقنا منه كلنا
ثم اخبر بنتيجة ذلك وعلاوته حيث قال ما ارى نفسى الا
انتم وذلك لانا مخلوقون من نفس واحدة فليكن بيننا كمال
الشفقة والرحمة. واعتقادى انكم انتم انا اى انا انتم كذلك

انا مثل ما انا انتم . وقال ابن جميل رحمه الله تعالى في ترتيب الآيات بعد الآية المذكورة ولانه تعالى عقب الامر بالتقوى بالامر بالاحسان الى اليتامى والنساء والضعفاء وكونهم من نفس واحدة باعث على ذلك لانه تكون منهم مواصلة وقرابة وذلك يزيد المحبة ولذلك يفرح الانسان بمدح اقاربه ويحزن بذمهم فقد ذكر انهم من نفس واحدة ليؤكد شفقة بعضهم على بعض ثم صرح بعد ذلك بقوله فارحمونى اى الطفوا بى بعد موتى بينكم وعاملونى معاملة الراحم الشفيق بتغسيلى وتكفينى والصلوة على ودفنى مع مراعات السنن فى جميع ذلك والمحافظة على ما تعرفونه من وجوه الكمال الشرعى ثم قال ترحموا انفسكم اى جميع ما تفعلونه بى انما تفعلونه بانفسكم فان ثواب ذلك وجزاءه عائد عليكم فانتم فى حال عملكم له عاملون لانفسكم فى باطن الامر وعاملون لى فى ظاهر الامر ولهذا قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وقال ولانفسهم يمهدون . وقوله واعلموا انكم فى اثرنا اى انتم تموتون بعدنا ايضاً فيسخر الله تعالى لكم من يفعل بكم نظير ما فعلتم بنا ويعاملكم بما عاملتمونا به قال الشاعر:

ارض للناس جميعاً | بالذى ترضى لنفسك
انما الناس جميعاً | كلهم ابناء جنسك

ومتى ما كان خيراً فلنا

ومتى ما كان شراً فبنا

يعنى ان ما تفعلونه معنا بعد الموت وتعاملوننا به ان كان خيرا فهو لنا اى حاصل لى منكم ولكم ايضا من الله تعالى حيث وفقكم له وسيعاملكم به ايضاً من غيركم اذا متم وان كان شرا فهو حاصل بنا اى بسببنا اى نحن السبب فى حصوله وذلك كونه على حسب مقتضى نفوسنا والله تعالى فيه عاملنا بعدله لا بفضله وفى الاول عاملنا بفضله لا بعدله وان المعنى ما تجدونه من احوالنا بعد موتنا او عند الموت فاستروه فانه ان كان خيرا كان لنا فضلا من الله تعالى وان كان شرا فهو كائن بسببنا عدلا منه سبحانه فان الشر يخلقه الله تعالى بسبب النفس والنفس امارة بالسوء واما الخير فهو بسبب القلب الروحانى الذى هو من الله تعالى ولهذا قال تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك . قال البيضاوى فمن الله تفضلاً منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافىء نعمة الوجود فكيف يقتضى غيره ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل ولا انت قال ولا انا . وقوله فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصى وهو لا ينافى قوله قل كل من عند الله فان الكل منه

ايجاداً وايصالاً غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة
مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضى الله عنها مامن مسلم يصيبه
وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع
نعله الا بذنب وما يغفر الله اكثر انتهى والكلام على هذه
الاية كثير مبسوط فى محله.

اسئل الله لنفسى رحمةً

رحم الله صديقا امنا

اى انا ادعو الله تعالى انه سبحانه يرحمنى برحمة من عنده
واطلب منكم ان تؤمنوا على دعائى بذلك فان الله تعالى يرحمكم
ايضا . يقال امن بتشديد الميم اى قال آمين وآمين اسم فعل
معناه استجب وعن ابن عباس رضى الله عنهما سألت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن معناه فقال افعل
وبنى على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها
وقال على رضى الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء
عبده ذكره البيضاوى فى تفسيره.

وعليكم من سلامى طيب

سلم الله عليكم وثنا

اى عليكم من سلامى سلام طيب تطيب به نفوسكم وتقربه
نكم ثم عطف عليه قوله وثنا والثناء هو المدح عليكم
ثناء طيب مبارك وقوله سلم الله عليكم جملةٌ معترضة
لمتعاطفين اى اوصل الله تعالى اليكم السلام منه سبحانه ايضاً .
والحمد لله وحده والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله
لانبى بعده وهذا آخر مافتح الله تعالى به من شرح
يدة علقناه عليها بالعجل فى مجلسين او ثلاثه ونسئل
تعالى ان يختم بالصالحات اعمالنا ويديم على التوفيق
النا ويعفو عنا وعن جميع المسلمين آمين
فرغنا منه صبيحة يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من
من شهور سنة اربع وتسعين والف .

١

غروشه‌در